جمع فُعَال بالضم نادرٌ كلَّ النُّدور

الى حضرة العلامة « محقق » :

طالعتُ لك يا سيدي في الجزء الرابع من هذه المجلة مقالةً بعنوان « جمع فُعال بالضم ليس بنادر » اتهمتَ فيها أمام النحو الأكبر وقطب اللغة الأشهر ايا بشر سيبويه بانه أخذ بخناق اللغة العربية أخذ الساطي الصائل ، وقيَّد عنقها بالاغلال والسلاسل . « فحجَّرها في مكانها وأخمد أنفاسها » !! واستدللتَ على صحة هذه التهمة بقوله انه لم يرد من الجموع على فُعال (كغُراب) إلاَّ ثمانية ألفاظ ذكرها غير واحد من أصحاب المعاجم ثم زاد بعضهم اربعة فبلغ عددها اثني عشر . ولم تحصر هذه التهمة في سيبويه بل أطلقتَها على جميع أئمة اللغة الذين قالوا قوله في كتبهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومعاجمهم فكانوا شركاءه في الحجر والتقييد والأخذ بقولٍ فاسدٍ غير سديد .

وكانت بينك الكبرى على فساد قولهم أنك تمكنت من العثور على عشرين لفظة أخرى أثبتها مع الاثنتي عشرة في ذيل مقالتك وشفعتها بقولك « ولا بدّ هنالك غير ما سردناه » .

وخلاصة ما في مقالتك ان سيبويه وغيره من جهابذة اللغة عدّوا صيغة فُعال من صيغ الجمع العزيزة النادرة وهي ليست كذلك لانه ورد عليها اثنان وثلاثون اسماً او اكثر ، والصيغة التي يجمع عليها مثل هذا العدد من الاسماء لا يصح ان تعد نادرة . وقولهم بندورها معدودة في حكمك تحريجاً للغة وإخماداً لأنفاسها . فهم والحالة هذه قد أساءوا اليها بما وضعوه لها من القيود والروابط والقواعد والضوابط .

فهل تأذن لي يا سيدي ان أخالفك فيما ذهبت اليه من أوله الى آخره وأقول — ولا أخاف في قول الحق لومة لائم — انهم بعملهم هذا أحسنوا الى اللغة كل الإحسان وطوّقوا جيدها بعقود منٍ لا يُبلي جديدها الملوان ، وقد جروا فيه على سنة الله في خلقه لكل عوالم الجماد والنبات والحيوان ولا سيما عالم الإنسان . واذا كنا نحن بأسرنا خاضعين — طوعاً او كرهاً — لشرائع سماوية وسنن طبيعية وقوانين بشرية وكانت لغات جميع الأمم الحيّة الراقية جارية هذا المجرى ، أفيصحّ ان تشذّ لغتنا العربية عن هذا القياس وتظلّ كَمَلاً مشتّتة الشمل مقطعة الأوصال وعُطُلاً من حلى القواعد والأحكام ؟

ولو بقيت الى الآن كما ادّعيت أنها كانت قبل عهد أبي بشر فهل كان في إمكان الملايين الناطقين بها ان يتخاطبوا و يتفاهموا — وهم متفرقون تحت كل كوكب — بمثل هذه السهولة والصراحة اللتين يتخاطبون بهما في هذه الايام ؟ فسيبويه والعلماء الذين به اقتدوا و بهديه اهتدوا لم يحجّروا اللغة في مكانها ولا أخمدوا أنفاسها بل وضعوا على صخر الثبات أساسها ورفعوا في الخافقين نبراسها .

بقي وزن فُعال وهو بيت القصيد . فقد زعمت ياسيدي انه ليس بنادر وحجتك في ذلك ورود اثنين وثلاثين اسماً مجموعة عليه . اما كاتب هذه السطور فانه ينازع في عشرة اسماء من العشرين التي زدتها ولا يسلّم بصحة ورودها وهي : « دناء ورُجال وشُهاد وطُوال وظُماء وأُهات ومُلاء ونُبساء ونُكات وهُمال » . ويضع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خمسة من العشرة الباقية موضع البحث والنظر وهي « بُراء وجُذاذ وجُمال ورُعاء وكُباب » . وقد سبق حضرة الاستاذ السيد عبد القادر المغربي واعترض على صحة جمع الاوّل منها « بُراء » في الجزء الثالث من هذه المجلة (ص ١٢٠) فالباقي من العشرين التي زدتها ، بعد الطرح والإسقاط ، انما هو خمسة ، والباقي من مجموع المسموع على وزن فُعال ، سبعة عشر ، ولكن لكي إكفي سيدي مؤونة البحث والجدل وإطالة الكلام على غير طائل اقول هبني اعترفتُ بصحة ورود الاثنين والثلاثين وسلمتُ باحتمال زيادة عشرات فوقها حتى تبلغ المئة او تنيف عليها أفتظن عددها حينئذٍ يكون كافياً لإخراج وزنها من حكم الندور ونظمه في سلك أوزان الجموع الغالبة الكثيرة التي كل منها معروف مألوف ، وقد ورد عليه من الاسماء مايعد بالمئات والالوف ؟ وهبني قلتُ مثلاً ان وزن « فُعلاء » بضم ففتح نادرٌ في الاسماء المفردة لم يُسمع منها عليه سوى بُرَحاء وبُرَداء وخُيَلاء ورُحَضاء وصُعَداء وعُرَواء وقُوَباء ونُفَساء . وجئتَ بعدي فزدتَ عليها حُيَلاء وعُدَواء وعُشَراء وغُلَواء ومُوَباء ومُطَواء وزاد غيرك عشرين او ثلاثين فهل تسوّغ هذه الزيادة عدّ وزن « فُعَلاء » من أوزان الأسماء المفردة الكثيرة الاستعمال ؟ إذن وزن « فُعَال » غريبٌ ونادرٌ كلّ الندور كما سبق فعده سيبويه وعليه الجمهور .

وبعد فلا يخفى عليك ان النحاة واللغويين الذين أشرتَ الى اندفاعهم وراء سيبويه لم يكونوا من الإمّعات المتابعين لغيرهم عفواً بلا تدبر ولا تبصُّر بل كانوا كلهم نبارس هدىً وإرشاد ومصابيح تنقيب وتدقيق . ولو لم يجدوا إمامهم ابا بشر اهلاً للإمامة والزعامة من كل وجهٍ لما احتفلوا بكتابه ذلك الاحتفال ما برح الى الآن مضرب الأمثال في إقبالهم عليه من كل فجٍ متسابقين الى تحليته بالشرح والتحشية والتعليق . وعلى رغم ما تحاوله من بخس حقهم وحق زعيمهم ما فتئت رائحة فضلهم الذكية كرائحة اسم إمامهم [1] تعطر الاندية والافواه وتزجي اليهم ركاب الشكر والثناء من جميع الألسنة والشفاه .

القاهرة : اسعد خليل داغر

(١) اشارة الى معنى كلمة سيبويه بالفارسية وهو رائحة التفاح . قيل لقب به لانه كان وهو غلام جميلاً كأن وجنتيه تفاحتان . وكان مع جمال صورته طيب الرائحة جداً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net